مظاهر التفسير اللّغوي في "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور

The manifestations of linguistic interpretation In "the editing and enlightenment" of Tahir bin Ashour

تاريخ الإرسال:15 / 03 / 2019 تاريخ النشر: 20 / 06 / 2019

-أبو القاسم بالشيخ - ميلود ربيعي ، - المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

ملخص:

تعددت أنواع التفسير واختلفت اتجاهات المفسرين واعتمد كل منهم على ما يراه مناسبا للتعامل مع آي الكتاب العزيز، فمنهم من اختار التفسير بالرأي ومنهم من آثر التفسير بالمأثور ومنهم من رأى أن القرآن يفسر بعضه بعضا، ومنهم من اعتمد على علوم اللّغة في تبيين مراد الآيات القرآنية أمثال أبي عبيدة والزجاج والفراء والزمخشري وغيرهم، ومنهم من جمع كل هذه الاتجاهات في تفسيره، ومن بين الذين تنوع منهجهم في التفسير نجد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

وسنحاول في هذه الورقة البحثية الوقوف على مظاهر التفسير اللّغوي في التحرير والتنوير مبينين أثر علوم اللّغة في الكشف عن الصفحة 99معاني الآيات عند الطاهر بن عاشور.

الكلمات المفتاحية: مظاهر التفسير - التفسير اللغوي - معاني الآيات - التحرير والتنوير – الطاهر ابن عاشور.

Summary:

There were many different kinds of interpretations, different directions for the interpreters,depending on what they saw fit to deal with the verses of the Holy Koran. Some of them chose to interpret by the opinion and some of them like to interpret by the words of ancestors ,other saw that the Koran explains each other, and some relied on the science of language in the identification of the Koran verses such as Abu Ubaida, El Zajaj, Al Faraa and Zamkhshari…….Other including the collection of all these trends in the interpretation, among them is Sheikh Mohammed Tahir bin Ashour in “el tahrir w el tanwir”.

In this research, we will try to identify the appearances of linguistic interpretation in “el tahrir w el tanwir”, showing the effect of language science in revealing the meaning of the verses with Tahir bin Ashour.

Keywords: Explorations of Interpretation - Language Interpretation - Meanings of Verses - “el tahrir w el tanwir” - Tahir Ibn Ashour

مقدمـة:

تعد علوم اللّغة الأساس الذي استندت عليه علوم القرآن والتفسير، ذلك أن علوم اللّغة كانت نشأت لخدمة القرآن الكريم والوصول إلــى معانيه واستنباط أحكامه وحِكمه، وكشف أسراره وإعجازه، وقد ظهر ذلك جليا من خلال تعدد مدارس التفسير ومناهجه، فلا نكاد نجد تفسيرا يخلو من اعتماد صاحبه على علــوم اللّغة، باستثناء التفاسير الباطنية المنحرفة، وهــذا مــا أشار إليه محمود أحمد الصغير فـــي قوله:" فنحن قل ما نجد مفسرا أياً كان مذهبه لا يستعين بعلوم العربية في بيان معاني التنزيل، كما قل أن نجد تفسيرا تخلُ مقدمته من بيان أهمية هذه العلوم[1] وضرورة إتقان المفسر لها"[2]، وبوجه آخر يقرر الهادي الجطلاوي في حديثه عن مكانة علوم اللّغة في التفسير أن العناية باللّغة في التفسير تتوقف على الدور الذي تؤديه هذه العلوم وحاجة المفسر لها لإيصال فكرته إذ يقول:" فإذا كانت زاوية النظر التي منها ننفذ إلى مناهج التفسير زاوية لغوية، تبين لنا رغم صعوبة تخلي أي منهج من المناهج عن اللّغة بل استحالة استغنائهم عنها أن التفاسير تتفاوت في مدى التعويل على اللّغة تفاوتا كميا متعلقا بنسبة العناية بها، وتفاوتا موقعيا متعلقا بمواضع الاستعانة باللّغة ومناسباته ودواعيه، فمن المناهج ما كان لغويا محضا مثل فيه الاقتصار على اللّغة اختيارا منهجيا في حد ذاته..."[3].

من بين هؤلاء المفسرين الذين غلب على تفسيرهم الدرس اللّغوي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره الذي سماه باختصار "التحرير والتنوير"، إذ يعد من أشهر تفاسير العصر الحديث وأعمقها حيث اعتمد على علوم اللّغة بشكل كبير في تبيين معاني آي القرآن الكريم، و بثّ فيه من القضايا اللّغوية البحوث الواسعة والعميقة، فيعرض في الآية أوجه

الإعراب المحتملة، وينظر إلى أثرها البلاغي، كما يحدد الميزان الصرفي لبعض كلماتها و التي تكون دلالة لفظها توحي بأكثر من معنى، محاولا إيجاد مصدرها الذي اشتقت منه حتى يقف على المعنى الصحيح لها، و هذا النوع من التفسير لم يكن وليد العصر الحديث و إنما ظهر من بداية الإسلام، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يبين معاني بعض الألفاظ العربية التي لم يكن العرب يعرفون معانيها، ومما ورد عنه -صلى الله عليه وسلم- لما سأله الأعرابي عن معنى (الظلم) في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[4] ففسره له بالشرك[5]، وتبعه - صلى الله عليه و سلم- في ذلك المنوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم .

يقف هذا البحث عند منهج الطاهر بن عاشور في التفسير اللغوي من خلال تفسيره " التحرير والتنوير"، وذلك بعد تتبع لمسائل متفرقة تجلى فيها قوة المفسر اللغوية وتوظيفيها في تفسير الآيات، وقد ترتبت مادة هذا البحث كما يلي : مدخل في معنى التفسير اللغوي في الاصطلاح، ثم عرض لنماذج من التفسير اللّغوي في التحرير والتنوير، وذلك باختيار المسائل في التحليل البلاغي مثل: التقديم والتأخير، الالتفات، التحليل النحوي والتركيبي، المعجم و علم الصرف. ومن ثم يكشف هذا البحث عن جانب من مظاهر التفسير اللغوي عند الطاهر بن عاشور.

1/ مدخل في معنى التفسير اللّغوي :

التفسير اللّغوي "هو مركب وصفي متكون من صفة وموصوف، والصفة فيه قيد له من إدراج غيره فيه، و(اللغوي) نسب على قياس إلى اللّغة، و المقصود بها هنا اللّغة العربية وإن لم تحدد، واللّغة العربية تضم عدد من العلوم تسمى (علوم اللّغة العربية) هي: علم الصوت وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم المعجم والبلاغة، وغيرها من العلوم الفرعية، فالتفسير اللّغوي إذن: هو التفسير الذي يستفاد من خلال اللّغة العربية

وعلومها وأساليبها من خطاب الخاص بالعام وخطاب العام بالخاص وغيرها من الأساليب "[6]، ويعرفه مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار بأنه" بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب"[7]، المقصود بما ورده في لغة العرب "ألفاظها و أساليبها التي نزل بها القرآن"[8]، ويرى الباحث ماهر جاسم حسن الأومري أن للتفسير اللّغوي مفهوم خاص إذ يقول:" إن للتفسير اللّغوي دلالته الخاصة به ومفهومه الخاص، ومعناه: تفسير القرآن الكريم بلغة العرب، وهو قسمان: عام وخاص، فأما التفسير اللغوي الخاص فيتعلق بتفسير غريب المفردات القرآنية، ولا يتناول القضايا اللّغوية العامة، وهو التفسير اللغوي المشهور عن ابن عباس الذي يعنى بتفسير الكلمة الواحدة المفردة وبيان دلالتها مستقلة عن غيرها، وأما التفسير اللّغوي العام فيتناول القضايا اللغوية العامة كالنحو والإعراب والصرف والبلاغة بعلومها الثلاثة، والشاهد اللغوي شعرا ونثرا، والمذاهب النحوية، والقراءات القرآنية وتنزيلها على المعاني المختلفة، وغير ذلك مما يدخل في علوم اللّغة عامة."[9]

ومن خلال تتبعنا للتعريفات نخلص إلى أن المقصود بالتفسير اللّغوي هو الإفادة من علوم اللّغة في كشف وبيان معاني القرآن الكريم.

2/ منهج الطاهر بن عاشور في التفسير اللّغوي:

اعتمد الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره على علوم اللّغة وجعلها الآلة والوسيلة للوصول إلى معاني القرآن، وقد كثر استشهاده بآراء النحاة وتخريجاتهم النحوية سواء في توجيههم للقراءات القرآنية أو استنباطهم للقواعد الأصولية أو الاحتجاج لمذاهبهم الفقهية والعقدية، وهذا ما نراه منتشرا في كتب وتفاسير المعتزلة وخاصة منهم الزمخشري (ت 538هـ)، الذي يعد أبرز من وظف علوم اللّغة في تفسيره الكشاف الذي صار منهلا لمن بعده من المفسرين و اللّغويين، ونجد الطاهر بن عاشور قد اعتمد في استشهاداته على ما ورد عن الزمخشري وخاصة في مسائل

إعراب القرآن والكشف عن الأوجه البلاغية للآيات القرآنية وتبيين الجمالية اللّغوية فيها، كما نراه ينتصر لآرائه بالتحليل اللّغوي، والدراسة الأسلوبية للسور، ويشير محمد نعمان حسن إلى أن :" الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كان من أعمق علماء عصره تناولا لعلـوم الدلالة اللّغوية فـي تفسير القـرآن الكـريم، فاعتنـى فـي تفسيره باللّغة عناية ظاهرة، واهتم بالمفردة القرآنية من جميع زواياها الدلالية، وركز علـى الأساليب البيانية وعطائها الدلالي بما يتعانق كله في خدمة تفسير القرآن الكريم..."[10]، أما محمد النذير أوسالم فيرى أن ابن عاشور قد تفنن في استعمال علـوم اللّغة فـي تفسيره إذ يقـول:" تشكل اللّغة بشتـى فـروعها أهـم مرتكزات ابن عاشور في تفسيره، فهو يستعمل آلاتها بدقة فائقة، مما ينم عن تمكنه منها، ولا يكاد يخط سطرا في كتابه إلا ويهرع إليها، فإن كانت المسألة لغوية أتى على معاني الكلمة من كل جوانبها، و إن كانت نحوية أحاط من خلالها بكل احتمالاتها، و إذا كانت بلاغية ولج من بابها ولوج من يحسن فتح المغاليق من أسرارها، ليلتمس بعدها بذوقه مواطن البيان و الإعجاز في الآية المراد تفسيرها"[11].

ذلك الذي أشار إليه ابن عاشور في المقدمة الثانية من تفسيره عند حديثه عن استمداد علم التفسير وحاجته إلى علوم اللسان العربـي فيقول:" إن القرآن كلام عربـي، فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربـي، وهي: متن اللّغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان"[12] ولقد كان لهذه العلوم الأثر الكبير في تبيين معنى الآيات وتوجيهها.

3/ مسائل من تفسيره اللّغوي :

إن المنهج اللّغوي الذي انتهجه ابن عاشور في تفسيره انعكس انعكاسا واضحا في تحديد وجهة نظره في المسائل المستنبطة من القرآن الكريم، وهذا يتجلى من مسائل اخترت في التحليل البلاغي ومسائل في المعجم وعلم الصرف اخترت الوقوف عندها:

3- 1 مسائل التحليل البلاغي :

لقد كان لعلوم البلاغة الحظ الأوفر في تفسير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وهذا ما يلحظه الدارس لتفسيره، إذ يعتمد على الظواهر البلاغية بشكل أساس في البرهنة على رأيه ووجهة نظره، كما اعتبر أن الهدف من الدراسات القرآنية وتفسيره، هو بيان إعجازه الذي تعددت جوانبه، مركزا على ما تميز به من سحر البيان[13]، يقول في المقدمة العاشرة من تفسيره:" ... أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغا الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملا على بيان دقائق من جوه البلاغة في آيِهِ المفسرة..."[14]. وقد اخترت لبيان ذلك مسائل البلاغية أوسعها الطاهر بن عاشور بحثا نرتبها كما يلي:

3- 1. أ/ التقديم والتأخير: لمسألة التقديم والتأخير في الدرس البلاغي و نظرية النظم مكانة كبيرة، إذ حول محورها تدور جماليات الكلام وفصاحته، وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور في تفسيره عند قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ "... فإن قلت وقع الاهتمام بالحمد مع أن ذكر اسم الله تعالى أهم فكان الشأن تقديم اسم الله تعالى و إبقاء الحمد غير مهتم به حتى لا يلجأ إلى تغييره عن النصب إلى الرفع لأجل هذا الاهتمام،قلت: قدم الحمد لأن المقام هنا مقام الحمد إذ هو ابتداء أول النعم بالحمد وهي نعمة تنزيل القرآن الذي فيه نجاح الدارين، فتلك المنة من أكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال لا سيما وقد اشتمل القرآن على كمال المعنى واللفظ و الغاية فكان حضوره عند ابتداء سماع إنزاله وابتداء تلاوته مذكرا بما لمنزله تعالى من الصفات الجميلة، وذلك يذكر بوجوب حمده وأن لا يغفل عنه فكان المقام مقام الحمد لا محالة، فلذلك قدم و أزيل عنه ما يؤذن بتأخره لمنافاته الاهتمام. ثم إن ذلك الاهتمام تأتى به اعتبار الاهتمام بتقديمه أيضا على ذكر الله تعالى اعتدادا بأهمية الحمد العارضة في المقام وإن كان ذكر الله أهم في نفسه لأن الأهمية العارضة تقدم على الأهمية الأصلية لأنها أمر يقتضيه المقام والحال والآخر يقتضيه الواقع، والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال والمقام..."[15].

3- 1. ب/ الالتفات: هو انتقال المتكلم من طريق التّكلّم أو طريق الخطاب أو طريق الغيبة إلى طريق آخر منها، انتقالا غير ملتزم في الاستعمال[16]، و المشهور عند الجمهور أن

الالتفات هو التعبير عن معنى طريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها[17]، واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجه حسنه- على ما ذكر الزمخشري- هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجراءه على أسلوب واحد[18]، ويعد ابن عاشور الالتفات من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية فهو في القرآن كثير [19]، ويرى كذلك أن هذا الأسلوب يدفع سآمة الإطالة عن السامعين[20] ، ويتجلى اهتمام ابن عاشور بهذا الأسلوب فـي تفسيره لقوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[21]، فيقول: "والانتقال من أسلوب الحديث بطريقة الغائب المبتدئ من قوله" الحمد لله" إلى قوله" مالك يوم الدين" إلى أسلوب طريقة الخطاب ابتداء من قوله" إياك نعبد" إلى آخر السورة، فن بديع من فنون نظم الكلام البليغ عند العرب، وهو المسمى في علم الأدب العربي والبلاغة التفاتا...وهنا التفات بديع فإن الحامد لما حمد الله تعالى ووصفه بعظيم الصفات بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية فخاطب ربه بالإقبال، كعكس هذا الالتفات في قول محمد بن بشير الخارجي(نسبة إلى بني خارجة قبيلة):

ذُمِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكتَ حَاجةً تَوَلَـى سِوَاكُمُ أَجرَهَا وَ اصطِنَاعَها

أَبَى لَكَ كَسْبَ المجدِ رأيٌ مُقَصِرٌ وَنَفْسٌ أَضَـاقَ اللهُ بالخَيرِ بَاعَهَا

إِذَا هِي حَثَّتْهُ عَلَـى الخَيْرِ مَرَةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَت بِشَرً أَطَاعَهَا

فخاطبه ابتداء ثم ذكر قصور رأيه وعدم انطباع نفسه على الخير فالتفت من خطابه إلى التعبير عنه بضمير الغيبة فقال: إذا هي حثته فكأنه تخيله قد تضائل حتى غاب عنه، ويعكس ذلك قوله تعالى﴿﴾[22]، لاعتبار تشنيع كفر المتحدث عنهم بأنهم كفروا بآيات صاحب ذلك الاسم الجليل، وبعد تقرر ذلك انتقل إلى أسلوب ضمير المتكلم إذ هو الأصل في التعبير عن الأشياء المضافة إلى ذات المتكلم، ومما يزيد الالتفات وقعا في الآية أنه تخلص من الثناء إلى الدعاء ولاشك أن الدعاء يقتضي الخطاب، فكان قوله" إياك نعبد" تخلصا يجئ بعده " اهدنا الصراط" ونظيره في ذلك قول النابغة في رثاء النعمان الغساني:

أَبَى غَفْلَتِي أَنِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ تَحَرَكَ دَاءٌ في فُؤَادِي دَاخِلُ

وأنَّ تلادِي إنْ ذَكَرْتُ وَشكّتي وَمُهري وما ضمّت لديّ الأناملُ

حباؤكَ والعيسُ العتاقُ كَأنّهَا هجان المها تُحدى عليها الرّحائلُ[23]

يسمي أبو الفتح ابن جني الالتفات "شجاعة العربية"، كأنه عنى أنه دليل على حدة ذهن البليغ وتمكنه من تصريف أساليب كلامه كيف شاء كما يتصرف الشجاع في مجال الوغى بالكر والفر"[24].

ومن هنا يظهر اعتناء ابن عاشور بالجانب البلاغي في تعامله مع الآيات ومحاولته الوقوف على ما يناسبها من كلام العرب، وتبين القيمة الجمالية والفنية في الآية .

3- 1.ج/ التحليل النحوي والتركيبي:

التطبيق النحوي له أثر كبير في فهم النصوص والكشف عن مرادها وخاصة نصوص القرآن الكريم، فالمفسرون اعتمدوا في تفسيراتهم على القواعد النحوية بغية الوصول إلى الحكم الشرعي المقصود في آيات القرآن الكريم، ويتجلى منهج ابن عاشور في كشفه عن مدلول الآيات من خلال توظيفه لعلم النحو، فيبحث أحيانا في جميع الأوجه الإعرابية المحتملة في إعراب المفردة أو الجملة، فيعرض آراء النحاة و أقوالهم في المسألة، ثم يرجح رأيا أحدهم أو يختار قولا ويستبعد آخر، وأحيانا يستدرك على من قبله من المفسرين والنحويين، وقد ينفرد برأيه في مسألة من المسائل أو إعراب آية.

أما بالنسبة للقضايا الخلافية بين اللغويين فلابن عاشور كلمته ورأيه في العديد من المسائل والقضايا، حيث يشير الباحث "مأمون تيسير محمد مباركة" إلى أبرز القضايا النحوية التي عالجها ابن عاشور في تفسيره مثل قضية التضمين النحوي[25]، والذي يعرف على أنه" إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه، لتؤدي الكلمة معنى كلمتين"[26]. ويعرفه ابن جني على أنه" اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به، لأنه في معنى فعل يتعدى به"[27]. ويعرفه ابن هشام فيقول:" قد يشربون لفظا معنى لفظ، فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضمينا"[28]. أما ابن عاشور فيعتبره من بديع الإيجاز إذ يقول في تعريفه:"ومن بديع

الإيجاز في القرآن وأكثره ما يسمى بالتضمين، وهو يرجع إلى إيجاز الحذف. والتضمين أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر، ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان"[29]، ومن أمثلة ذلك الواردة في تفسير ابن عاشور تفسيره لقوله تعالى :﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾[30]، إذ يقول:"وإذا ظرف للزمان المستقبل وهو الغالب فيها فيكون ما بعدها مقدرا وجوده، أي فإذا جد أمر القتال وحدث، وجملة "فلو صدقوا الله" دليل جواب "إذا"، لأن"إذا" ضمنت هنا معنى الشرط، أي كذبوا الله وأخلفوا فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم، واقتران جملة الجواب بالفاء للدلالة على تضمين" إذا" معنى الشرط، وذلك أحسن من تجريده عن الفاء إذا كانت جملة الجواب شرطية أيضا"[31].

أما في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ٣٠﴾[32]، فقد ذكر محمد النذير أوسالم أن المفسر الطاهر بن عاشور عند تفسيره لهذه الآية أفاض في إعراب "إذ" وأحال على هذا الموضع كلما وجد في القرآن ما يماثله في هذا الإعراب، لأن ما ذهب إليه يحيل القارئ لهذه الآيات على الفهم الصحيح والدقيق لها[33]، يقول ابن عاشور: (و"إذ" من أسماء الزمان المبهمة تدل على الزمان نسبة ماضية وقعت فيه نسبة أخرى ماضية قارنتها، ف"إذ" تحتاج إلى جملتين أصلية وهي الدالة على المظروف وتلك هي التي تكون مع جميع الظروف، وجملة تبين الظرف ما هو، لأن"إذ" لما كانت مبهمة احتاجت لما يبين زمانها عن بقية الأزمنة، فلذلك لزمت إضافتها إلى الجمل أبدا، والأكثر في الكلام أن تكون إذ في محل ظرف لزمن الفعل فتكون في محل نصب على المفعول فيه، وقد تخرج"إذ" على النصب على الظرفية إلى المفعولية كأسماء الزمان المتصرفة على ما ذهب إليه صاحب الكشاف وهو مختار ابن هشام خلافا لظاهر كلام الجمهور، فهي تصير ظرفا مبهما متصرفا، وقد يضاف إليها اسم زمان نحو يومئذ وساعتئذ فتجر بإضافة صورية ليكون ذكرها وسيلة إلى حذف الجملة المضافة هي إليها، وذلك أن "إذ" ملازمة للإضافة فإذا حذف جملتها علم السامع أن هنالك حذفا، فإذا أرادوا أن يحذفوا جملة مع اسم زمان غير"إذ" خافوا

أن لا يهتدي السامع لشيء محذوف حتى يتطلب دليله فجعلوا إذ قرينة على إضافة وحذفوا الجملة لينبهوا السامع فيتطلب دليل المحذوف. وهي في هذه الآية يجوز أن تكون ظرفا وكذلك أعربها الجمهور وجعلوها متعلقة بقوله" قالوا" وهو يفضي إلى أن يكون المقصود من القصة قول الملائكة وذلك بعيد، لأن المقصود من العبرة هو خطاب الله لهم وهو مبدأ العبرة وما تضمنته من تشريف آدم وتعليمه بعد الامتنان بإيجاد أصل نوع الناس"[34].

3- 2 المعجم و علم الصرف:

اعتمد ابن عاشور الدراسات المعجمية و الميزان الصرفي للوصول إلى أصل الكلمات في القرآن الكريم وفي هذا يقول محمد النذير أوسالم عنه:" بحث عن اشتقاق الكلمة، وزنها، وسبب حذف همزتها، وذكر ما يقابلها من الكلمات العربية التي هي على أوزانها، معتمدا على كبار اللغويين، والمفسرين، مما ينم عن حرصه الشديد في تحقيق المسائل اللغوية، وأحسب أن ليس لها ثمرة ظاهرة، تخدم الآية بشكل مباشر، إلا أنه مبحث لغوي قد يروق أهل اللغة ويفيدهم"[35].

أورد ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[36]، تحليلا صرفيا لبعض الكلمات منها كلمة " أماني" إذ يقول:" والأمانيُّ بالتشديد جمع أمنية على وزن أفاعيل وقد جاء بالتخفيف فهو جمع على وزن أفاعل عند الأخفش كما جمع مفتاح على مفاتح و مفاتيح والأمنية كأثفية وأضحية، أفعولة كأعجوبة والأضحوكة والأكذوبة والأغلوطة، والأماني كالأعاجيب والأضاحيك والأكاذيب والأغاليط، مشتقه من منى كرمى بمعنى قدّر الأمر ولذلك قيل تمنى بمعنى تكلف تقدير حصول شيء متعذر أو متعسر، ومناه أي جعله مانيا أي مقدرا كناية عن الوعد الكاذب، لأنه ينقل الموعود من تقدير حصول الشيء اليوم إلى تقدير حصوله غدا، وهكذا كما قال كعب بن زهير :

فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ

ولأن الكاذب ما كذب إلا أنه يتمنى أن يكون ما في نفس الأمر موافقا لخبره فمن أجل ذلك حدثت العلاقة بين الكذب والتمني فاستعملت الأمنية في الأكذوبة، فالأماني هي التقادير النفسية أي الاعتقادات التي يحسبها صاحبها حقا وليست بحق، أو هي الفعال التي يحسبها العامة من الدين وليست منه بل ينسون الدين ويحفظونها، وهذا دأب الأمم الضالة عن شرعها أن تعتقد مالها من العوائد والرسوم والمواسم شرعا، أو هي التقادير التي وضعها الأحبار موضع الوحي الإلهي إما زيادة عليه حتى أنستهم الأصل و إما تضليلا وهذا أظهر الوجوه، وقيل الأماني هنا الأكاذيب أي ما وضعه الذين حرفوا الدين ، وقد قيل الأماني القراءة أي لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها ويدرسونها لا يفقهون منها معنى كما هو عادة الأمم الضالة إذ تقتصر من الكتب على السرد دون فهم "[37].

لقد تعامل ابن عاشور مع ألفاظ القرآن وتراكيبه، ومفرداته وانتقل من شرح الألفاظ وتفسيرها، إلى علاقتها ببعضها، مستخرجا أصلها وأوزانها، ومعانيها ودلالتها.

خاتمة:

في ختام هذا المقال الذي عرضنا فيه شواهد وأمثلة اتضح لنا من خلالها كيف وظف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور علوم اللّغة في تعامله مع تفسير القرآن الكريم، ثم مدى أهمية هذه العلوم لدى المفسر، باعتبار اللغة الركن الأساس في التفسير، فقد وقف ابن عاشور موقف المحقق والمدقق والمبارز لكبار والنحويين واللغويين والمفسرين القدامى وعليه يمكن أن نعد من نتائج هذه الورقة البحثية ما يلي :

- وجوب إتقان علوم اللّغة من أجل التعامل مع آي الكتاب العزيز.
- التفسير اللّغوي بحث عميق عند الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير.
- للطاهر بن عاشور آراء واختيارات في القضايا اللغوية الخلافية بين النحاة.
- تضمن تفسير التحرير والتنوير بحوث معجمية وأخرى صرفية وأخرى نحوية وأخرى بلاغية.

وأخيرا يمكننا أن نتابع من سبقنا من الباحثين أن تفسير التحرير والتنوير بحر عميق ومستوعب للأقوال المفسرين واللغوين والنحويين والبلاغيين، المرتبطة بآيات القرآن الكريم.

38

[1] - يقصد بها علوم اللغة العربية .

2 - الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ / 2001م، ص28.

3 - قضايا اللّغة في كتب التفسير(المنهج-التأويل-الإعجاز)، الهادي الجلطاوي،دار محمد علي للنشر والتوزيع، صفاقس، الجمهورية التونسية، سنة 1998 ، ج 1 ص 38.

[4] - سورة الأنعام الآية 82.

- ينظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير، المرجع السابق، ص5.23

6 - التفسير اللّغوي للقرآن الكريم عند ابن جني، أحمد محسن خلف، رسالة ماجستير في اللّغة العربية وآدابها، قسم اللّغة العربية، الجامعة المستنصرية، العراق، سنة 1436هـ/2014م،ص08.

- التفسير اللّغوي للقرآن الكريم،مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،دار ابن الجوزي، الرياض، دط، ص 7.38

- المرجع نفسه،ص8.39

9 - ماهر جاسم حسن الأومري، التفسير اللّغوي في (محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي)، مذكرة دكتوراه في فلسفة اللغة العربية، كلية الآداب جامعة الموصل، إشراف : أ.د: محي الدين توفيق إ'براهيم، 1424هـ/2003م، ص 196.

- ينظر: مجلة القسم العربي، محمد نعمان حسن، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد 2014/21م، ص10.44

11 - الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، محمد النذير أوسالم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان،،ط1، 1430هـ/2009م،ص127.

12 - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للطباعة والنشر، تونس، المجلد الأول، الجزء الأول، ص21.

- ينظر: الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص172. 13

- التحرير والتنوير، المصدر السابق، ص14.178

- المصدر نفسه، ص158-15.159

16 - موجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور، قرظه: زكرياء بن مخلوف التوناني، تعليق: أبو عبد الرحمان عبد الرحيم عبد الكريم بوقطة،دار الإمام مالك،باب الواد، الجزائر،دط،1438هـ-2017م،ص105.

[17] - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1424،1هـ2003م،ص68.

- المرجع نفسه، ص69.[18]

- ينظر: التحرير والتنوير، المصدر السابق، ص19.116

- التحرير والتنوير ،المصدر نفسه،ص20.116

[21] - سورة الفاتحة الآية 1.

[22] - سورة العنكبوت الآية 23.

- ديوان النابغة الذبياني، عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط3، 1416هـ-1996م،ص154-155.[23]

- التحرير والتنوير ،المصدر نفسه، ص178-24.180

- التضمين النحوي في تفسير التحرير والتنوير، مأمون تيسير مباركة، ص25.01

- المرجع نفسه ، ص26.03

27 - ينظر: التضمين النحوي وأثره في المعنى، هادي أحمد فرحان الشجيري، مقال ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية ، العدد الثلاثون،ذو القعدة 1426هـ/ ديسمبر 2005م ، ص304.

- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، الجزء 02، الباب الثامن، القاعدة الثالثة ، ص28.762

- التحرير والتنوير، المصدر السابق،ص29.123

[30] - سورة محمد الآية 21.

- التحرير والتنوير، الجزء 26، ص31.110

[32] - سورة البقرة الآية 30.

- الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص33.166

- التحرير والتنوير، الجزء الأول،ص34.396

- الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص35.134

[36] - سورة البقرة الآية 78.

- التحرير والتنوير ، الجزء الأول، ص574-575.[37]